الجـزائر نفسها، ووحدها فقط. قال احد قادة الثورة الأوائل، العربي بن مهيدي (قتل في التعذيب على ايدي الفرنسيين)، في معرض مناقشاته مع القادة الآخرين قبيل الثورة: «ان ثورتنـا هي أصعب بكثـير من نظيرتيها التونسية والمراكشية. الجزائر في نظر العالم ارض فرنسية، وسوف نحتاج الى سنوات من النضال كي نحرز انتصاراً جزئياً بسيطاً هو تحويل الجزائر، في نظر الرأي العام العالمي، من **ارض** فرنسية، الى **مستعمرة** فرنسية، وبعد ذلك سوف نحتاج الى سنوات أخرى من النضال كي نحرر المستعمرة» (لقد اوردنا النص بمعناه الاصلي الدقيق، لا بنصه الحرفي لعدم توفر المصدر الجاهز).

«الأرض الصـديقة»، هنا، تتألف من امكنة متنقلة، واحياناً متنقلة بسرعة بين القرى الجزائرية، وفي الادغال، ثم، فيما بعد، في الاحياء القديمة من المدن. كان الشعب هو المصدر البشري والمادي للثورة، لا بحالته الخام، وانما عبر الجهد الكبير المتدرج في التنظيم، والتعبئة لمختلف الامكانات.

وكون «الارض الصديقة»، هنا، داخلية، فقد فُرضت على الثورة امور كثيرة، ربما لولاها لما استطاعت الثورة الصمود سبع سنوات قتالية شديدة، وتحرير الجزائر اخيراً.

الصمود ليس موقفاً عاطفياً، ولا يكون له معنى اذا لم يُبن على واقع تنظيمي متين، في نفس مستوى المقتضيات المطلوبة للكفاح، وعلى ديناميكية عمل متصاعدة تنتقل باستمرار، في خط صاعد، من الامكانات الاقل الى الامكانات الاكثر، حتى لو أصيب العمل بنكسات جزئية، هنا او هناك.

كان صمود الثورة الجزائرية ينطوي على العناصر الموضوعية المطلوبة. فقيادة الثورة واعية، تعتمد على درجة عالية من التنظيم والتدريب لكادراتها ومناضليها، وعلى اسس تخلق شعبية متصاعدة لها في الوسط الجزائري، وعلى تنظيم ذي مستوى عال لأقنية الحصول على معلومات عن العدو وتحركاته، وعلى خبرة عميقة بالمواقع، والمخارج والمسالك، وعلى مهارة في التمويه تجعل قوات الثورة شبحاً بالنسبة للعدو، فلا يستطيع ان يعرف شيئاً عنها.

عندما توسعت «الارض الصديقة» للثورة الى البلدان العربية المتاخمة حيث أقيمت بعض قواعد التدريب، والى البلدان العربية الاخرى حيث تم الحصول على بعض المساعدات (بالمال وبالسلاح، وبقبول البعثات التعليمية، والبعثات التدريبية في الكليات العسكرية، أو غيرها)، بل والى بعض البلدان غير العربية، بقي الاعتماد الاساسي على الداخل. ولولا ذلك، لاصيبت الثورة بنكسات، وبضربات قاضية.

٤

بدأت تتكـون حركـة التحـرر الفلسـطينيـة، بشكل عفوي، في العشرينات من القرن العشرين، وفي اطار حركـة النهضـة العـربية. وكانت تمثل الايديولوجية، في فترة النهضة العربية، في الشرق العربي، احزاب انشأها المثقفون العرب الذين اتيح لهم ان يتلقوا العلم في تركيا، أو في اوروبا، والضباط العرب في الجيش التركي. وانطلقت بعض الاحزاب من مصر، وتوسعت الى الاقطار العربية الاخرى، ونشأت احزاب اخرى خارج مصر في الاقطار العربية او في تركيا او في باريس. مثلاً، نشأ حزب اللامركزية الادارية العثماني في القاهرة العام ١٩١٢ على يد سوريين مثقفين موجودين هناك. كانت تتلخص مطاليب الحزب باللامركزية في الولايات